

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين في المغرب الإسلامي (480-540هـ)

Social and economic life during the era of the Almoravids in the Islamic Maghreb (480-540 AH)

الباحث: م.م. عقيل محمد صالح الاسدي

جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

تاريخ النشر: 2023/12/13

تاريخ القبول: 2023 / 09 / 30

تاريخ الاستلام: 2023/09/17

ملخص:

حكم بلاد المغرب الإسلامي مجموعة من القبائل الذين عرفوا بالملثمين لاتخاذهم اللثام شعاراً لهم، واهم هذه القبائل المتنفة هي لمتونة وجدالة ومسوفة، فكانوا يفتقرون إلى حكومة مركزية موحدة تفرض وجودها على المنطقة، فانعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتي بقيت متخلفة، وفي الوقت الذي كانت البلاد تمر بتلك الحالة شهدت المنطقة الجنوبية من المغرب قيام حركة دينية تحت زعامة عبد الله بن ياسين هدفها تلقين سكان تلك المناطق تعاليم الدين الإسلامي السمحة، وسرعان ما لطف الناس حوله خصوصاً وأنهم وجدوا في ذلك خدمة لمصالحهم، ولما تمكن الإسلام من قلوبهم بدأ عبد الله بن ياسين في تطبيق الأحكام الشرعية عليهم، وأطلق عليهم اسم المرابطين، لالتزامهم الرباط الذي كانوا يتلقون فيه التعاليم الإسلامية، وحثهم على الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما تجمع حوله الكثير من الأنصار والأتباع انطلق بهم من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الجهاد ضد القبائل المخالفة لهم، وحققوا عدة انتصارات، ونظراً لما حققه المرابطون وما شاع عنهم من تطبيق لما جاء في الكتاب والسنة أخذت القبائل المغربية تنظم اليهم وتزايد أعداد المرابطين حتى تمكنوا من فرض سيطرتهم على جميع بلاد المغرب، وبعد أن استتببت الأمور وأصبح للمرابطين جيش قوي وحكومة مركزية قوية، تغيرت الحياة وحدث تطور ملحوظ في جميع مجالات الحياة وخاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، فاصبح للمرأة دور مهم وبرزت نساء لعبت دوراً مهماً في مختلف جوانب الحياة، إضافة إلى تطور الحركة العلمية ونشوء العديد من المدارس والمكتبات، إذ أولى الحكام المرابطين اهتماماً خاصاً بالعلماء والمعلمين، حتى خرج جيل واعى تقلد مختلف المناصب والوظائف كالقضاء والتعليم وغيرها، كما تطورت الحركة الأدبية والشعرية إضافة إلى ظهور العديد من المؤلفات في مختلف جوانب المعرفة، أما في المجال الاقتصادي فقد تطورت الصناعات بشكل كبير حتى أصبحت البضائع تصدر إلى مختلف مدن العالم آنذاك .

كلمات مفتاحية: بلاد المغرب، المرابطين، الحياة الاجتماعية، الحياة الاقتصادية .

Abstract:

The rule of the countries of the Islamic Maghreb is a group of tribes who were known as the masked ones because they took the veil as a slogan for them, and the most important of these influential tribes are Lamtouna, Jadala, and Masoufa. They lacked a unified

central government that imposed its presence on the region. The country was going through that situation. The southern region of Morocco witnessed the emergence of a religious movement under the leadership of Abdullah bin Yassin, whose aim was to indoctrinate the inhabitants of those regions with the teachings of the religion of the tolerant Muslims. Soon, people gathered around it, especially since they found it to serve their interests, and when Islam gained control of their hearts, Abdullah began Bin Yassin in the application of legal rulings on them, and he called them Almoravids, for their commitment to the bond in which they were receiving Islamic teachings, and urged them to call, and to enjoin good and forbid evil, and when many supporters and followers gathered around him, he proceeded with them from the stage of the call to the stage of jihad against the opposing tribes For them, and they achieved several victories, and due to what the Almoravids achieved and what was rumored about them regarding the application of what came in the Book and the Sunnah, the Moroccan tribes began to join them and the number of the Almoravids increased until they were able to impose their control over all the countries of Morocco, and after things became stable and the Almoravids had a strong army and a strong central government, Life changed and there was a noticeable development in all areas of life, especially in the social and economic aspect. Women had an important role and women emerged who played an important role in various aspects of life, in addition to the development of the scientific movement and the emergence of many schools and libraries, as the Almoravid rulers paid special attention to scholars and teachers, until... A conscious generation emerged, holding various positions and jobs such as the judiciary, education, and others. The literary and poetic movement also developed, in addition to the emergence of many works on various aspects of knowledge. As for the economic field, industries developed greatly until goods were exported to various cities of the world at that time.

Keywords: : the Maghreb, the Almoravids, social life, economic life.

1- مقدمة

كان سكان بلاد المغرب الإسلامي يعيشون حياة منعزلة بعيدة عن التمدن والتحضر، ويعتمدون حياة بسيطة إضافة إلى حالة الفوضى التي كانت تحكمهم، إذ كان يتزعمهم إمارات متفرقة متناحرة فيما بينها في صراع داخلي على السلطة، وأهم هذه الإمارات أو القبائل المتنفذة هي لمتونة وجدالة ومسوفة، هذه القبائل التي كانت تعرف بالملثمين لاتخاذهم اللثام شعاراً لهم، فكانوا يفتقرون إلى حكومة مركزية موحدة تفرض وجودها على المنطقة، فانعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتي بقيت متخلفة، وفي الوقت الذي كانت البلاد تمر بتلك الحالة شهدت المنطقة الجنوبية من المغرب قيام حركة دينية تحت زعامة عبد الله بن ياسين هدفها تلقين سكان تلك المناطق تعاليم الدين الإسلامي السمحة، وسرعان ما لفت الناس حوله خصوصاً وأنهم وجدوا في ذلك خدمةً لمصالحهم، ولما تمكن الإسلام من قلوبهم بدأ عبد الله بن ياسين في تطبيق الأحكام الشرعية عليهم، وأطلق عليهم اسم المرابطين، لالتزامهم

الرباط الذي كانوا يتلقون فيه التعاليم الإسلامية، وحثهم على الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما تجمع حوله الكثير من الأنصار والأتباع انطلق بهم من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الجهاد ضد القبائل المخالفة لهم، وحققوا عدة انتصارات، ونظراً لما حققه المرابطون وما شاع عنهم من تطبيق لما جاء في الكتاب والسنة أخذت القبائل المغربية تنظم اليهم وتزايد أعداد المرابطين حتى تمكنوا من فرض سيطرتهم على جميع بلاد المغرب، وبعد أن استتبّت الأمور وأصبح للمرابطين جيش قوي وحكومة مركزية قوية، تغيرت الحياة وحدث تطور ملحوظ في جميع مجالات الحياة وخاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، فاصبح للمرأة دور مهم وبرزت نساء لعبت دوراً مهماً في مختلف جوانب الحياة، إضافة إلى تطور الحركة العلمية ونشوء العديد من المدارس والمكتبات، إذ أولى الحكام المرابطين اهتماماً خاصاً بالعلماء والمعلمين، حتى خرج جيل واعى تقلد مختلف المناصب والوظائف كالقضاء والتعليم وغيرها، كما تطورت الحركة الأدبية والشعرية إضافة إلى ظهور العديد من المؤلفات في مختلف جوانب المعرفة، أما في المجال الاقتصادي فقد تطورت الصناعات بشكل كبير حتى أصبحت البضائع تصدر إلى مختلف مدن العالم آنذاك، وقد تضمنت الدراسة تمهيد تناول نشوء دولة المرابطين وفرض سيطرتهم على بلاد المغرب، ومبحث أول تناول الحياة الاجتماعية، ومبحث ثاني تناول الحياة الاقتصادية في البلاد، وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر المهمة وخاصة المصادر التي تناولت الحياة في بلاد المغرب، أو التي أرخت لفترة حكم المرابطين، إضافة إلى مجموعة من المراجع التي أرخت للحياة في بلاد المغرب أبان حكم المرابطين .

التمهيد: التعريف بالدولة المرابطية وتأسيسها في بلاد المغرب

قامت دولة المرابطين على أكتاف القبائل الملتزمة وهذه القبائل هي لمتونه ومسوفة وجدالة، والذين عرفوا بالملتمين لاتخاذهم اللثام شعاراً لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب، إذ كانوا يتخذون اللثام منذ طفولتهم لاعتقادهم بأن الفم عورة يجب ستره، أو أن الفم سوء تستحق الستر كالعورة⁽¹⁾، ويذكر البكري⁽²⁾ أنهم كانوا لا يتركون اللثام في أي حال من الأحوال، بل أنهم لا يعرفون بعضهم البعض إلا من خلال اللثام، لدرجة أنه لا يميز رجل من وليه أو حميمه إلا إذا تنقب، بل حتى في المعارك فلا يميزون قتلاهم إذا زال عنهم اللثام فلا يعرفونه حتى يعاد عليه قناعه، وكان الرجال فقط يتلثمون أما نسائهم فكان حواسر الوجوه، وهناك آراء عديدة حول اتخاذ هذه القبائل للثام منها ما ذكره ابن خلكان⁽³⁾ أنهم كانوا يتلثمون لسببين أولهما: أن الخاصة منهم كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد وقلة ملابسهم، والسبب الثاني: أن أعدائهم كانوا يقصدونهم غفلة عند غيابهم، فيأخذون أموالهم ويسبون حرمةهم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن تتخذ النساء زي الرجال ويرسلونهم إلى ناحية، وأن يقعد الرجال في البيوت ملتمين في زي النساء ليتربصوا للعدو، ففعلوا ذلك، وجاء عدوهم فثاروا عليه بسيفهم وقتلوه، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل من الظفر بالعدو، وهناك آراء أخرى تشير إلى أن السبب هو حماية من الغبار ومنغصات جو الصحراء فتوارثه الأبناء عن الآباء حتى صار عادة لهم⁽⁴⁾، كانت هذه القبائل تقطن في شمال إفريقيا في صحاري المغرب وسهوله، وكانوا يعتنقون الدين الإسلامي منذ الفتح العربي لبلاد المغرب، وعند تولي يحيى بن إبراهيم الجدالي رئاسة الملتمين، خرج مع

طائفة من زعماء قومه لإداء فريضة الحج سنة (429هـ-1037م)، وعند مروره في بلاد المغرب الأقصى لاحظ الفرق الكبير بين بيئة المغرب الزاخرة بالعلم والحضارة وبين بيئة الصحراء التي خيم عليها الجهل⁽⁵⁾، وعند عودته من الحج مر بمدينة القيروان وحضر مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي، وأعجب الشيخ بالأمير يحيى لما لمس فيه من حب الخير والحرص على التعلم، فسأله عن بلاده وعن مذهبهم فأخبره الأمير أنهم قوم لا يقرأون القرآن لكنهم محبون للخير، وطلب من الشيخ أن يعين له فقيهاً يذهب معه إلى الصحراء ليعلمهم أمور دينهم، ويرجعون إليه في نوازهم، وقضايا دينهم، فأختار له عبد الله بن ياسين الجزولي، وكان من أحذق الطلبة الأذكياء⁽⁶⁾، فدخل عبد الله بن ياسين بلاد صنهاجة بصحبة زعيمها يحيى بن إبراهيم فلما وصلا نزل يحيى بن إبراهيم عن راحلته، وأخذ بزمام راحلة عبد الله بن ياسين تعظيماً له، وأخذ يعرف الناس به بقوله هذا حامل سنة رسول الله (ﷺ)، فتلقاهما الناس بالحفاوة والتكريم⁽⁷⁾.

رأى عبد الله بن ياسين المنكرات ظاهرة في المثلثين فقد أهملوا شعائر الدين، واستسلموا للرذائل، فكان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء، فأنكر ذلك عليهم، وكرس نفسه لهدايتهم إلى أصول الدين، وتفقيهم بأمور دينهم⁽⁸⁾، وقد أحدث عبد الله بن ياسين هزة في الحياة العامة في مجتمع المثلثين، إذ غيّر الكثير من عاداتهم وأحيا الروح الدينية بينهم، وأقام حدود الإسلام، ونشر المساوات بينهم خاصة بعدما لمس من استغلال طبقة النبلاء لعبيدهم⁽⁹⁾، إلا أن دعوة عبد الله بن ياسين ما لبثت أن تعرضت لمقاومة من قبل بعض أهل الشر والفساد الذين عزلوه عن الرأي والمشورة، واستعادوا منه بيت المال، وطردوه وهدموا داره وانتهبوا كل ما كان فيها من أثاث⁽¹⁰⁾، واختلف المؤرخون في تحديد أسباب هذه الثورة، إذ يشير ابن أبي زرعة⁽¹¹⁾ إنها حدثت بسبب تشدد ابن ياسين على المثلثين في ترك المنكرات، أما ابن الأثير⁽¹²⁾ فيشير أنها لم تكن بسبب تشدد ابن ياسين بل لأنه أفتى بقتل يحيى بن إبراهيم نفسه، وأشار غيرهم أن هذه الثورة وقعت في عهد يحيى بن عمر اللمتوني، الذي اختاره عبد الله بن ياسين خلفاً ليحيى بن إبراهيم الجدالي، إذ فقد حمايته بموت يحيى بن إبراهيم، إضافة إلى أنه أصبح مكروهاً لأنه نقل الزعامة من جدالة إلى ملتونه، إذ كان عبد الله بن ياسين مقتنعاً أن المستقبل لدعوته في قبائل ملتونه، لشجاعتهم ولموقعهم الجغرافي، إضافة إلى خضوع يحيى بن عمر وقبيلته لأوامره وتعاليمه⁽¹³⁾، بعد هذه الفتنة رأى الشيخ ابن ياسين أن يرحل إلى بلاد السودان، إلا أن الأمير يحيى بن عمر عارض ذلك وتمسك به، وأشار عليه بمكان بعيد حيث يمكنه الابتعاد عن المشاغبين والاعتزال للعبادة، فوافقه الشيخ والذي رأى في هذا الرأي هوى في نفسه الميل إلى حياة الربط⁽¹⁴⁾، وكلمة رباط تعني ملازمة ثغر العدو، والمحافظة على أوقات الصلاة، إذ ورد في قوله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽¹⁵⁾، فالمرابطة في سبيل الله تعالى تنزل من الجهاد والقتال

منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة، لأنّ المرباط يقيم في وجه العدو متأهباً مستعداً، حتى إذا أحسّ من العدو بحركة أو غفلة نهض فلا يفوته ولا يتعدّر عليه، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعداً، فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة⁽¹⁶⁾، فخرج عبد الله بن ياسين مع تسعة أفراد اثنان من لمتونه وسبعة من جدالة وأقام رباطه في ربوة يحيط ببحر النيل من جهاتها ضحضاحاً في الصيف وغمرأ في الشتاء، فتعود جزراً منقطعة. فدخلوا في غياضها منفردين للعبادة⁽¹⁷⁾.

وضع عبد الله بن ياسين شروطاً للقبول في رباطه، فكان القبول فيها معلقاً على امتحان، وفترة مراقبة للتأكد من استعداد الراغب في الانخراط في الرباط، فإذا توفر له الاستعداد فانه يسلم إسلاماً جديداً، وتقام عليه حدود الذنوب التي ارتكبها سابقاً لتحريره من فكرة الذنب⁽¹⁸⁾، وبعد فترة وجيزة سمع الناس أخبار ابن ياسين وأخبار أصحابه من أهل الربط، فتوافدوا عليه حتى اجتمع له نحو ألف رجل من أشرف صنهاجة⁽¹⁹⁾، وبعد أن كثر أتباعه وجد أن يخرج بدعوته خارج حدود رباطه، فخطبهم قائلاً: إن ألفاً لن تغلب من قلة، وقد تعيّن علينا القيام بالحق والدعاء إليه وحمل الكافة عليه، فأخرجوا بنا لذلك⁽²⁰⁾، فكان جواب أصحابه: أيها الشيخ المبارك مُرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين، ولو أمرتنا بقتال آبائنا لفعلنا⁽²¹⁾، وقبل الدخول في صدام عسكري مع القبائل أمر ابن ياسين أصحابه أن يتوجه كل منهم إلى عشيرته فينذرهم ويعظهم فلم ينتهوا، فخرج عبد الله بن ياسين بنفسه وجمع رؤساء القبائل وحذرهم ودعاهم إلى التوبة، وخوفهم عقاب الله، فلم يزدادوا إلا فسقاً، فلما يئس منهم أعلن الجهاد، وبدأ بقبيلة جدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف من المجاهدين وهزمهم سنة (434هـ - 1042م)، ثم غزى قبائل البربر والذين كانوا على غير دين الإسلام بعد أن دعاهم لاعتناق الإسلام فرفضوا وقتلوا رُسله، فخرج اليهم وقتلهم قتالاً عظيماً، حتى هزمهم واستولى على أموالهم وسبا نسائهم، وسمى قائده الذي حقق النصر يحيى بن عمر بأمير الحق⁽²²⁾، وكان لهذا النصر صدى كبير، إذ سارعت القبائل للدخول في الدعوة الجديدة، وكان ابن ياسين يطهرهم من الذنوب بأن يضرب كل واحد منهم مائة سوط، ويعلمه القران، والصلاة والزكاة وشرائع الدين، وأصبح له بيت مال خاص به ينفق منه على جيشه وينفق على طلبة العلم، حتى تمكن من تكوين جيش كبير وصل عدده إلى ثلاثين ألف مجاهد يلتهبون حماساً⁽²³⁾، وتمكن عبد الله بن ياسين من فرض سيطرته الكاملة على جميع بلاد المغرب الأقصى، وضل يجاهد حتى وفاته سنة (451هـ - 1059م) على أثر اصابته في أحد الوقائع ضد البرغواطيين، وقد ترك دولة عظيمة تسمى دولة المرابطين وجيش عظيم وفقهاء يدعون لنشر الدين الإسلامي في كافة أرجاء المغرب.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية للمرابطين في المغرب الإسلامي

ضمت بلاد المغرب عناصر بشرية مختلفة من حيث الجنسيات والأصول، وأهم هذه العناصر التي شكلت مجتمع المغرب هم قبائل البربر وهم السواد الأعظم من السكان، وهم أصحاب البلاد الأصليين، وعاش معهم العرب الذين لعبوا دوراً واضحاً في أحداث المغرب، إضافة إلى عناصر أخرى من السكان وهم أقلية من السودان والروم والترك⁽²⁴⁾.

أصبح التعدد في عناصر المجتمع من أبرز ما يميز المجتمع المرابطي، الذي تتعايش فيه عناصر مختلفة عرقياً ودينياً، إلا أن دور القبيلة بقي هو المهيمن في الوسط الاجتماعي، لما تتمتع به القبيلة من نفوذ وقوة وسلطة⁽²⁵⁾، وتأني في مقدمة هذه القبائل والتي كان لها نفوذ كبير في سائر أرجاء المغرب هي قبيلة صنهاجة والتي لا يكاد يخلو قطر من أقطار المغرب من بطون هذه القبيلة، يورد ابن خلدون⁽²⁶⁾: وهذه القبيلة من أوفى قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أهل البربر، هذا إضافة إلى قبائل كبيرة كانت تسكن المغرب مثل لمتونه وجدالة ومسوفة ولمطة، أما العرب فقد شكلوا العنصر الثاني في بلاد المغرب، وكان تواجد العرب في المغرب منذ الفتح الإسلامي للبلاد سنة (86هـ/706م) والذين انتشروا في البلاد من أجل نشر مبادئ الدين الإسلامي⁽²⁷⁾، وكان يطلق على العرب أسم الهلالية إشارة إلى القبائل الفاتحة وهم بنو هلال وحلفائهم من جشم والخلط والمعل، وكان للعرب دور كبير في المغرب فقد اشتركوا في الحياة العامة وتقلدوا المناصب الإدارية والسياسية، ومن خلال المعاشية اليومية كان لهم تأثيراً كبيراً على سكان البلاد الأصليين والذين تعلموا منهم اللغة العربية حتى انتشرت في أجزاء كبيرة من البلاد، كذلك تمكن العرب من نشر الثقافة العربية والعادات وأثروا في سكان البلاد حتى في عادات المأكل والملبس وغيرها من العادات⁽²⁸⁾، أما بقية عناصر المجتمع فكانوا من العبيد والخدم وامتهنوا إلى جانب ذلك العديد من المهن والحرف لصالح أسيادهم .

يعتبر المجتمع المرابطي مجتمعاً طبقياً حيث قسمه الغزالي⁽²⁹⁾ والذي كان معاصراً للمرابطين إلى طبقة منتجة وهم الفلاحين والصناع، وطبقة مستهلكة لا يهتمها إلا التلذذ بالنعم، وطبقة تقوم بجمع المال وادخاره، وطبقة تتجمل في الملبس والمأكل، ومن الطبيعي أن تختلف طريقة العيش في المدينة عنه في البادية تبعاً لاختلاف طرق وأساليب الإنتاج، إذ احترف أهل المدن الصنائع المختلفة إضافة إلى ممارسة التجارة، أما سكان البادية فقد احترفوا الفلاحة إلى جانب بعض المهن البسيطة، وبذلك كانت المدن أكثر ثراءً من البوادي، إذ أن نشاط سكان الحواضر لم يكن موجهاً نحو تلبية الحاجات البسيطة، بل إلى الاثراء الاقتصادي وتحقيق الثروات، الأمر الذي زاد من التفاوت الطبقي في المدن، عكس مجتمع البوادي الذي كان يقل فيه التفاوت⁽³⁰⁾.

وكسائر المجتمعات الأخرى تعد الأسرة نواة المجتمع المرابطي، وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء، وكان العرف السائد لدى قبائل المغرب أنهم كانوا يتزوجون ما شاءوا من النساء، وهذا ما أنكره عليهم عبد الله بن ياسين حينما أقبل عليهم مع يحيى بن إبراهيم، إذ وجد الرجل منهم يتزوج ست نسوة أو سبع نسوة أو أكثر، فأوضح لهم أن الشريعة حددت للرجل أربع نساء حرائر، وله أن يملك ما شاء من ملك اليمين⁽³¹⁾، وكان الزوج هو صاحب الكلمة في البيت وله الولاية على سائر من في البيت، حتى أن المرأة برغم ما تمتعت من حرية في المجتمع المرابطي إلا إن مسألة تزويجها كانت بيد والدها أو ولي أمرها والذي كانت له اليد الطولى في تزويجها دون استشارتها، ولم يكن لها أن ترفض من يتقدم لخطبتها، وهناك أمثلة أوردتها المصادر منها إن امرأة رُج بها في السجن لأنها تزوجت بغير إذن وليها⁽³²⁾، ومنها أيضاً أن رجلاً غاب عن زوجته فزوجها والدها برجل آخر فعاد زوجها الأول⁽³³⁾، إلا أن هذا العرف كان له استثناءات في بعض العائلات الوجيبة التي كانت لبناتها حرية الاختيار ومن الشواهد على ذلك الشاعرة نزهون بنت القليعي⁽³⁴⁾ والتي رفضت رجلاً قبيحاً تقدم لخطبتها خصوصاً إنها كانت غاية في الجمال والحسن الرائق⁽³⁵⁾، كذلك ما ورد من أن زينب النفزاوية⁽³⁶⁾ التي رفضت العديد من المشايخ والأمراء واشترطت لمن يتقدم لخطبتها أن يتمكن من أن يحكم المغرب برمته⁽³⁷⁾.

كان للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع المرابطي والذي سمح لها بمشاركة واسعة في كافة المجالات إضافة إلى وظيفتها الرئيسية في الإشراف وإدارة شؤون المنزل، فكانت تشترك في مجلس القبيلة وتشارك في الأمور المهمة⁽³⁸⁾، مثال على ذلك زينب النفزاوية زوجة الأمير يوسف بن تاشفين، والتي تمتعت بمكانة مرموقة في الدولة المرابطية، حتى أن زوجها كان يأخذ رأيها في جميع الأمور المهمة، وكان لها دور كبير في صعوده إلى الملك، وبقيت طيلة فترة ملكه تسانده بآرائها السديدة وتشاركه مسؤولياته الشاقة⁽³⁹⁾، ويبدو أن نساء الأمراء والنبلاء والقواد والعمال من المرابطين كن يتمتعن بسلطة واسعة ونفوذ كبير، فقد روي أن تيممة بنت يوسف بن تاشفين كانت تطلب العلم، وتحفظ الشعر، وتتخذ الموكلين والكتاب، وتبرز اليهم في غير ما حياء أو خجل، وتحاسبهم دون أن تجد في ذلك غرابة⁽⁴⁰⁾، وبلغ من نفوذ المرأة المرابطية أن أصبحت تتحكم بأمور البلاد وتعين وتعزل القضاة والولاة، كما فعلت زينب النفزاوية إذ أمرت بعزل أحد القضاة لأنه مدح حواء زوجة سير بن أبي بكر⁽⁴¹⁾ وفضلها على سائر النساء⁽⁴²⁾، كذلك قمر والدة سير بن علي بن يوسف عندما تمكنت من عزل تاشفين أحد أولاد الأمير علي بن يوسف عندما تولى إمارة الأندلس، بسبب أن تاشفين لم يكن ولدها⁽⁴³⁾، وازداد نفوذ النساء في الدولة المرابطية حتى وصلت لحالة يصورها المراكشي⁽⁴⁴⁾ بقوله: واستولى النساء على الأحوال وأسندت اليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونه ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه، وبلغ من تقدير المرابطين واحترامهم للمرأة أن تلقب العديد من قادة المرابطين وامرائهم بأسماء امهاتهم

تقديرًا لدور المرأة في المجتمع المرابطي، فكان عبد الله بن محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخ لأمير المرابطين ومن أعظم قادة الجيش يعرف بابن عائشة⁽⁴⁵⁾، كذلك بني غانية وهما محمد ويحيى ابنا علي بن يوسف المسوفي والذين نسبوا إلى امهما غانية⁽⁴⁶⁾، وعبد الله بن فاطمة الذي كان أبرز قادة المرابطين والذي أحرز العديد من الانتصارات للمرابطين وكان يعرف بابن فاطمة⁽⁴⁷⁾، وكانت المرأة تختلط بالرجال في الأماكن العامة والمناسبات العامة، حتى ان الفقيه ابن تومرت أنكر عليهم هذا الاختلاط وأخذ يفرق بين النساء والرجال في الأسواق بعصاه، إلى جانب هذا الاختلاط كانت المرأة سافرة، فمنذ اتخاذ الرجل اللثام على وجهه بقيت المرأة سافرة وضلت هذه العادة في المجتمع المرابطي، فقد أعترض ابن تومرت على سفور أخت أمير المسلمين علي بن يوسف حينما صادفها في السوق هي وجواربها وكلهن سافرات، فزجرهن ووبخهن، حتى ضرب دوابهن هو وأصحابه، فسقطت أخت الأمير من على دابتها، فشكت ذلك للأمير علي بن يوسف⁽⁴⁸⁾، ويبدو ان السفور وبروز المرأة أمام الرجال لم يكن عادة مألوفة لدى المجتمع المغربي، فقد روي ان ابنة أمير المسلمين خرجت سافرة ومتبرجة فلقبها أحد التجار وكان مستغرباً من تبرجها وهي ضنت انه فتن بجماها ويتطلع اليها ويرغب فيها فأنشدته:

هي الشمس مسكنها في السما فعز الفؤاد عزاءً جميلاً

فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزول⁽⁴⁹⁾

وكان لتحرر المرأة وتدخلها في الأمور السياسية وكل الأمور التي تخص إدارة الدولة مع ضعف أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عاملاً من عوامل ضعف الدولة المرابطية وانهارها وسقوطها⁽⁵⁰⁾.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في الدولة المرابطية هو احتفائهم في العديد من الأعياد والمواسم، منها ما يرتبط بمناسبات اجتماعية أو دينية، ومنها ما هو احياء لمناسبات عامة يحتفل بها جميع الناس، ومن هذه الاحتفالات التي تقام بمناسبة الزواج أو الخطبة أو ولادة مولود جديد أو ختان أو مأتم⁽⁵¹⁾، وكان الاحتفال بهذه المناسبات لدى الطبقة المترفة يأخذ طابع البذخ والاسراف، أما عامة الناس فكانوا يحتفلون بطريقتهم البسيطة في الولائم وإظهار الزينة، وكانت هذه المناسبات والاحتفال بها مشابه لما يجري في المشرق مع اختلاف في العادات والتقاليد والتي كانت موروثاً من أجيال بعيدة، من الاحتفالات العامة التي كان المجتمع المرابطي يهتم بها هي ذكرى المولد النبوي الشريف في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، وكان يتم الاحتفال بهذه الذكرى باجتماع المرابطين وذكر محاسن الرسول (ﷺ) واقواله والصلاة عليه، ويحرم استعمال آلات اللهو والطرب في هذه المناسبة الشريفة، ويتم ايقاد الشموع والتزيين بأحسن الثياب، وركوب أحسن الدواب وتزيينها⁽⁵²⁾، كذلك احتفالهم بالعيدين الفطر

والأضحى كما يحتفل بهما سائر المسلمين، فتوقد أنوار جميع المدن وتتعالى أصوات المصلين بالتكبير والتهليل، ولبس الملابس الجديدة ويتزينوا للظهور بأحسن مظهر⁽⁵³⁾، كذلك من المناسبات الدينية هو إقامة صلاة الجمعة والاحتفال بشهر رمضان وتعظيمه، إذ كان لقدم الشهر الشريف أهمية خاصة لدى المرابطين، إذ يتم الاحتفال منذ لحظات ظهور الهلال فيتم إيقاد النار في تلك الليلة، ويظهرونها من قرية إلى أخرى اثباتاً لرؤيته، ويحتفلون سائر الشهر بقراءة القرآن والأدعية وعقد الحلقات الدينية في المساجد⁽⁵⁴⁾، كما يحتفل المرابطين بعيد موسمي عندهم يسمى عيد المهرجان أو عيد العنصرة، حيث كانوا يوقدون شعلة نار ويقفزون فوقها، وينظمون فيه سباقات للخيول ويلبسون الملابس الجديدة والمزينة، ويعد هذا العيد من الأعياد التي ورثها إسبانيا المسيحية عن العصور الوثنية السابقة ويعتبر عيد العنصرة عيداً نصرانياً، ويعتقدون ان في هذا العيد ولادة يحيى بن زكريا⁽⁵⁵⁾.

كذلك نشطت الحياة العلمية في بلاد المغرب أبان الحكم المرابطي وأخذ العلماء فيها ينافسون علماء الشرق، وانتشرت المدارس في كل بقاع المغرب واشتهرت من بينها مدرسة فاس والتي بلغت في عهد المرابطين من الغبطة والرفاهية والدعة والأمن ما لم تألفه مدينة من مدن المغرب، قصدها العلماء من الأندلس وأفريقية، كذلك مدرسة سبتة والتي تقع على مضيق جبل طارق، فتلفت المؤثرات الأندلسية والمغربية على حد سواء⁽⁵⁶⁾، وقد أنجبت عالماً فذاً من أعلام المرابطين هو القاضي بن عياض اليحصي⁽⁵⁷⁾، كذلك مدارس طنجة واغمات وسلجماسة وتلمسان إضافة إلى مدرسة مراكش⁽⁵⁸⁾، وانتشار هذه المدارس تدل على ان المجتمع المرابطي كان مجتمعاً محباً للعلم والمعرفة.

وتختلف طبيعة الحياة الاجتماعية في الدولة المرابطية حسب الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، فكانت هناك طبقة غنية تنتمي لها عائلات معروفة في المغرب مثل عشيرة بني بسلا وبني زهرة وبني الملجوم وبني التجيبي وغيرها من العائلات الغنية، إضافة إلى الأمراء وأقربائهم والوزراء وكبار موظفي الدولة، وأفراد هذه الطبقة عاشوا حياة الدعة والرفاهية، فسكنوا القصور الفخمة، وامتلكوا الاقطاعات الواسعة، والخدم والحشم⁽⁵⁹⁾، وجرت العادة أن يلبس أفراد هذه الطبقة أفخم الملابس وأبهى مظاهر التأنق، ويخرجون للنزهة والصيد في القوارب والزوارق في الأنهار والوديان، وأسرفوا في حياة البذخ والترف، حتى أن بعضهم كان يغدق على الشعراء المادحين أعطيات كيبلاً بلا وزن، حتى أنهم وصفوا بأرباب السماح وأرباب الأمداح⁽⁶⁰⁾، والطبقة الأخرى من المجتمع المرابطي هي الطبقة الوسطى الذين يصفهم ابن باجة⁽⁶¹⁾ المعاصر للمرابطين مجموعة من الناس الذين يتصنعون ويطمسون حقيقتهم بارتداء الملابس الأنيقة فوق الملابس البالية لإخفائها حتى يتقربوا من الكبراء، وضمت هذه الطبقة شرائح متعددة ومتنوعة من التجار وأرباب الحرف والصياغة اليهود ومهندسين وأطباء وأهل العلم، وقد عاش هؤلاء حياة متوسطة ذلك ان الحكم المرابطي لم

يتيح الظروف الملائمة لنمو ثرواتهم، فاققتصاد المغازي أعطى للدولة حق الاحتكار في المجالين التجاري والصناعي، فبالرغم من ممارسة المجالات الاقتصادية المختلفة إلا أن الأموال المتحصلة تعود إلى بيت المال على شكل ضرائب متنوعة، ويصفهم ابن خلدون بعدم قيامهم بأي دور تاريخي نتيجة تدني أخلاقهم فأصبحوا بعيدين عن السلطة، مفتقرين إلى جاهها، ومن كان بعيداً عن الجاه يصبح ماله عرضة للضياع⁽⁶²⁾، أما طبقة العامة والتي شملت السواد الأعظم من الرعية، والتي حوت شرائح اجتماعية متنوعة جمع بينها دخلها المحدود، فشملت الحرفيين وصغار التجار والباعة والمنتجولين والمستخدمين والأجراء وأصحاب المهن الوضيعة والفلاحين والرعاة وأئمة المساجد فضلاً عن بعض المهمشين والعيبد، وأبرز ما يميز هذه الطبقة مستوى عيشها المنحط، والفقر الذي خيم عليها، لذلك تأثرت هذه الطبقة بشكل كبير بالمجاعات وويلات الحروب التي حدثت في بلاد المغرب وخضوعهم للضرائب الباهظة التي انهكتهم⁽⁶³⁾، إلا أن مستوى معيشتهم كان يتحسن في الرخاء ويضيق أبان الأزمات، وتبقى هذه الطبقة أهم طبقة منتجة خلال العهد المرابطي، ومع ذلك بقيت وضعيتها الاجتماعية منحطة، ولم يكن مدخلها يفي بأبسط مستلزمات المعيشة، على عكس طبقات الأثرياء والوسطى الذين أسرفوا في حياة البذخ والترف، وخلاصة القول أن المجتمع المرابطي عرف تدرجاً طبقياً اجتماعياً حسب الثروة إضافة إلى عوامل أخرى كالجاه والقربة والنسب الشريف، ولأن المجتمع المرابطي أقام اقتصاده على المغازي فقد أتمت حياة السكان بالتقلب وعدم الاستقرار لارتباطها بوسائل الإنتاج والأموال التي توفرها الغزوات إضافة إلى تحكم الأمير بها والذي يمنحها أحياناً ويصادرها متى شاء .

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية للمرابطين في المغرب الإسلامي

شهدت بلاد المغرب الإسلامي نهضة اقتصادية كبيرة منذ تأسست على أرضها دولة المرابطين، إذ حرص أمراء الدولة المرابطية على النهوض بالبلاد في شتى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية، وعم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد نتيجة تلك المساحات الكبيرة التي تجبى منها الأموال للحكومة المركزية في العاصمة مراكش ومن ثم رخصت الأسعار، وقد عبر ابن أبي زرع⁽⁶⁴⁾ عن الرخاء الذي كانت تتمتع به البلاد أيام حكم المرابطين بقوله: وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن، تناهى القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال، كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم، وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم، وقد مثلت الصناعة في عصر المرابطين نشاطاً من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي يعتمد عليها سكان البلاد، إذ أمدتهم باحتياجاتهم اليومية، وكان من أهم العوامل التي ساعدت على نمو الصناعات بمختلف المجالات هو الاستقرار الأمني في البلاد، حيث كون المرابطون

دولة واسعة الأرجاء قوية الأركان لا سيما بعد توحيد بلاد المغرب والقضاء على الكيانات السياسية التي كانت قائمة قبل الفتح المرابطي، وبذلك تكون قد وفرت الأمن للسكان ليباشروا أعمالهم، كذلك من العوامل هو وجود الأيدي العاملة الماهرة والمدرّبة في الصناعات المختلفة التي كانت منتشرة في البلاد، فقد كانت لا تعوزهم الخبرة في هذا المجال⁽⁶⁵⁾، إلى جانب أن أهل المغرب يحترمون العمل ولا فرق عندهم بين الرجل والمرأة في العمل لاسيما عند أهل اغمات والسوس⁽⁶⁶⁾، ومما ساعد أيضاً في تطور الصناعة توفر المواد الأولية اللازمة، وهي العامل الأساسي لقيام الصناعات المختلفة، ومنها الخامات المعدنية المتمثلة في معدن الحديد ومعدن التوتيا الذي يستعمله الصناع في إعطاء النحاس الأحمر لوناً أصفر وكان يستخرج من أرض السوس⁽⁶⁷⁾، كذلك معدن الذهب الموجود قرب سلجماسة، والفضة التي تستخرج في مدينة مكناسة⁽⁶⁸⁾، وازدهرت الصناعة في بلاد المغرب إذ كانت لا تخلو مدينة فيها إلا وبها صناعة قائمة خصوصاً وأن سكانها أقبلوا على تعلم مختلف الحرف والصناعات وحسبنا في ذلك أن أهل السوس واغمات من فرط حبهم للحرف والصناعة دأبوا على تعليم نساءهم وصبيانهم لهذه الحرف، إذ يقول البكري⁽⁶⁹⁾: وأهل السوس واغمات أكثر الناس تكسباً وأطلبهم للرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب، ونتيجة للتوجه العام للدولة المرابطية القائم على أساس عسكري، والذي انعكست ملامحه على مختلف نظم الدولة، فالمعروف أن الدولة المرابطية قد خاضت حروب عديدة سواء في المغرب مع بداية قيامها أو في بلاد الاندلس فيما بعد، وهذا الوضع العسكري للدولة المرابطية جعلها في حاجة مستمرة للصناعات العسكرية لتوفير حاجتها من الأسلحة وغيرها، مما عزز الصناعة بصفة عامة والصناعة الحربية بصفة خاصة، فتنوعت أسلحة المرابطين، واختصت مناطق كثيرة في البلاد في تلك الصناعات⁽⁷⁰⁾، وقد عمل يوسف بن تاشفين على تطوير مختلف الصناعات الحربية فقام بإنشاء قواعد لبناء السفن الحربية في كل من مدينتي طنجة وسبتة، خاصة بعد قراره في العبور لافتتاح بلاد الاندلس بعد أن استنجد به أهلها، وفي ذلك يقول ابن عذاري المراكشي⁽⁷¹⁾: (فلما تمهدت البلاد له تاق إلى العبور إلى جزيرة الاندلس... فأنشأ شواني ومراكب وأراد العبور إليها)، حتى قدر عدد السفن التي تم تصنيعها في كل من طنجة وسبتة بمائة قطعة مختلفة الأشكال والأنواع منها المراكب والحراقات، والمسطحات، والطرائد، والشلنديات وغيرها⁽⁷²⁾، وتطورت الصناعات الحربية في العهد المرابطي بشكل كبير حتى أن مدينة غرناطة أصبحت في عهد تاشفين بن علي مخزناً للسلاح، وضرب السهام وعمل التراس، ونسج الدروع، وصقل البيضات والسيوف⁽⁷³⁾، أما مدينة قرمونة فكانت داراً لصناعة السلاح ومخزناً له، وبها برج يعرف ببرج الأجمعليه تنصب عليه العرادات عند القتال⁽⁷⁴⁾، كما ارتبطت صناعة الحديد والخشب بالصناعات الحربية، فاستعمل الحديد في صناعة الآلات الحربية مثل السيوف والخناجر والاطلس⁽⁷⁵⁾ وغيرها، إضافة إلى بناء القلاع والحصون كوسائل حربية دفاعية لصد هجمات الموحدين وغيرهم⁽⁷⁶⁾، وبذلك تكون الصناعات الحربية قد أسهمت اسهاماً مباشراً في تنشيط قطاع الصناعة.

كذلك عرفت صناعات مختلفة في العهد المرابطي فلوجود الحديد والرصاص في بلاد المغرب ازدهرت صناعة الأنابيب التي كانت تستخدم لجلب الماء إلى المدن⁽⁷⁷⁾، كذلك استخدم معدن الذهب والفضة والقصدير والأصباغ الملونة في مختلف الصناعات منها صناعة الحلي والمجوهرات وغيرها من الصناعات⁽⁷⁸⁾، أما المعدن الأصفر فقد صُنعت منه المخروطات النحاسية⁽⁷⁹⁾، كذلك صُنعت منه الخصة التي يجمع فيها الماء وكان الصناع في مدينة فاس قد تفننوا في صناعتها⁽⁸⁰⁾، كذلك ازدهرت صناعة قتب الجمال، وهي تصنع من الخشب وتحشى بالقش والحلفا وتوضع فوق سنام الجمل⁽⁸¹⁾، كما اشتهرت بلاد المغرب بالصناعات النسيجية وكانت بها أسواق للقطن والكتان وزقاق خاص بمحلات الحياكة⁽⁸²⁾، وقد عرف المرابطون صناعة المنسوجات والألبسة من الصوف والقطن والوبر، وكانوا يغزلونها باليد وينسجون منها الملابس⁽⁸³⁾، كذلك ازدهرت في العهد المرابطي صناعة الزيوت وخاصة زيت الزيتون، إذ تكثر زراعة أشجار الزيتون في مدينة مكناسة، وكان الصناع في مدينة فاس يقومون باستخراج الزيت من الزيتون ساعدهم في ذلك قرب موقع فاس من مزارع الزيتون، حيث كانت أحمال الزيتون تتجه إليها يومياً⁽⁸⁴⁾، كذلك ازدهرت صناعة الورق في العهد المرابطي والتي تقوم على محصول القطن والكتان، ورتبت هذه الصناعة بأن يتم اختيار الجيد منها وتنظف وتنظف من جميع الشوائب، فيكون أجودها ما صفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنه⁽⁸⁵⁾، ويصفها ابن خلدون⁽⁸⁶⁾: (بأنها من توابع العمران، واتساع نطاق الدولة حيث التأليف العلمي والدواوين، ولذلك حرص الناس على تناقلها في الأفاق) ، وقد كانت مدينة فاس مركزاً للوراقة حيث كان بها (104) معملاً لعمل الورق⁽⁸⁷⁾، ومن الصناعات التي انتشرت في العهد المرابطي صناعة الأخشاب بمختلف صنوفها، وربما ساعد على ذلك جلب الأخشاب من بلاد الأندلس⁽⁸⁸⁾، واشتهرت حرفة النجارة ومنها فن عمارة المناير في المساجد، فقد صنعت بإتقان تام مثل منبر جامع القرويين بمدينة فاس والذي صُنِعَ بأمر من الأمير علي بن يوسف، وقد صنع هذا المنبر من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج⁽⁸⁹⁾، كذلك اشتهرت خلال عهد المرابطين صناعة الجلود والتي تقوم على جلود الضأن والبقر وغيرها من الحيوانات، كذلك صناعة نسيج الصوف في الألبسة والتي تسمى الأكسية⁽⁹⁰⁾، كذلك صناعة العمائم، وكانت النساء تقوم بغزل الصوف فتنسج منه الغفارات⁽⁹¹⁾ ويصبغونها بأنواع الأصباغ⁽⁹²⁾.

أما الزراعة في العصر المرابطي فقد ازدهرت بشكل كبير لما تتمتع به بلاد المغرب من الموقع الجغرافي وتوافر مصادر المياه والاستقرار السياسي والاقتصادي، إذ تتكون بلاد المغرب من سلاسل جبلية تتخللها الوديان، وتمتد هذه السلاسل الجبلية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وأكبر هذه السلاسل هو جبل دون الذي يسمى بأطلس الكبرى⁽⁹³⁾، أما فيما يتعلق بملكية الأراضي الزراعية فقد كانت قبل الفتح المرابطي تتقاسمها القبائل فيما

بينها، فكانت غمارة تحتل الجزء الغربي الخصيب من الجبال التي عرفت باسمها⁽⁹⁴⁾، وجاورتهم لمطة الشمال في سهول غمارة الزراعية ونجودها⁽⁹⁵⁾، وشاركتهم صنهاجة البز التي امتدت ديارها إلى شواطئ المحيط الأطلسي متصلة إلى مشارف جبل درن محترفة للزراعة والحياكة⁽⁹⁶⁾، ثم سكنت تامسنا من المصاميد ديار بورغواطة، فاحتلت المنطقة الممتدة بين سلا وآسفي⁽⁹⁷⁾، و كان المصاميد يشتغلون بالزراعة، وهذا ما يفهم من قول المراكشي⁽⁹⁸⁾: "إنما كانوا أصحاب فلاحه ورعاة غنم"، وبعد الفتح المرابطي تغيرت مواطن القبائل ومراكزها، فانتقلت قبائل الملثمين من منطقة الصحراء الجنوبية إلى منطقة السهول والواحات الشمالية، فنزلت لمتونة ومسوفة رحبة مراكش، ثم توالى جموعهم من الصحراء باستدعاء يوسف بن تاشفين لهم أيام نيابته عن أبي بكر بن عمر فأقطعهم الأراضي⁽⁹⁹⁾، وبعد انفراد يوسف بن تاشفين بالسلطة قدمت جموع أخرى من قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم فأقطعهم الأراضي، و الراجح أن أراضي المغرب الأقصى كانت للقبائل التي تسيطر عليها أو تسكن فيها، ولكن عند قدوم المرابطين أصبحت الدولة هي المالكة لكثير من الأراضي في البلاد، فقد أخضع المرابطون جميع بلاد الصحراء واستولوا على قبائلها وكان المرابطون يجمعون أسلاب المقتولين في غزواتهم ويجعلونها فيئاً وغنيمة لهم، ثم أن الدولة أصبحت تتبع سياسة إقطاع الجند من تلك الفترة، حيث عمدوا إلى إتباع السياسة القديمة في إقطاع الأراضي للجند يفلحونها ويستثمرونها، وهو ما أشار إليه صاحب الحلل الموشية⁽¹⁰⁰⁾ بقوله: "فمن ظهرت نجده وإعانتته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده"، وقد ازدهرت الزراعة بشكل كبير عندما انضوت الأندلس تحت لواء دولة المرابطين، فكانت محاولات الاستفادة من الخبرات الأندلسية في شتى مجالات الزراعة من أهم أسباب ارتقائها في بلاد المغرب الأقصى⁽¹⁰¹⁾، وقد كان استيطان هذه الهجرات له أثره في تزويد سكان البلاد بالخبرات الفلاحية مما أسهم في تنشيط الزراعة، لذلك كان للمهاجرين الأندلسيين في عصر المرابطين أثر جيد في تكييف الحياة الاقتصادية بالمغرب الأقصى لاسيما في المراكز التي استوطنوها، حيث اختلف التأثير باختلاف هوية المهاجرين وطبيعة المهجر، وقد كثرت الغلات والبساتين والحدائق والمزارع حيث وجد الأندلسيون، فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الرحي الطاحنة بالماء، كما اشترك الأندلسيون مع إخوانهم المغاربة في تبادل الخبرات الزراعية، ومما ساعد على ازدهار الزراعة أيضاً طبقة الفلاحين الكادحة التي أخذت على عاتقها الاهتمام بالزراعة ومنها قبائل دكالة التي كانت الزراعة مهنتها الأولى في هذه البلاد وقد كانت الفلاحة بالنسبة لهم مهنة يتوارثونها جيل بعد جيل، فاستغلت هذه الطبقة الظروف الطبيعية في الزراعة المختلفة⁽¹⁰²⁾، وقد تنوعت المحاصيل الزراعية بالمغرب والأندلس في عصر المرابطين وعرفت وفرة في الإنتاج سواء أكان ذلك حبوباً أم فواكه أو خضراً أو غيرها من النباتات الأخرى، غير أن زراعة الحبوب كانت تنصدر تلك الحاصلات باعتبارها الغذاء الأساسي للمجتمع في تلك الفترة، وبعد القمح والشعير من أهم المحاصيل الزراعية في المغرب وقد عمت زراعتهم أنحاء مختلفة من البلاد نذكر منها مثلاً المنطقة الشمالية من

المغرب طنجة التي جادت فيها زراعتهم، بحيث كان أكثر مزروعات أهل طنجة من القمح والشعير⁽¹⁰³⁾، وإلى جانب القمح و الشعير عرف المغرب في عصر المرابطين زراعة حبوب أخرى كالذرة بمنطقتي سجلماسة وأودغست، وتعد الذرة بمثابة الغذاء الرئيسي لعامة الناس، وجادت زراعة الأرز بمنطقة السوس، ولوفرة منتوجه كان يباع بأبخس الأثمان⁽¹⁰⁴⁾، أما الفول والحمص فقد اختصت بزراعتهم منطقت مرسى فضالة ومنها كانا يصدران إلى الأندلس⁽¹⁰⁵⁾، ويعد قصب السكر من أهم المحاصيل الزراعية التي كثر زراعته في أنحاء مختلفة من المغرب في عصر المرابطين، إذ اشتهرت عدة مناطق بزراعته مثل منطقة بليونش -القريبة من سبتة -ومنها يتجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد، غير أن أشهر مناطق المغرب إنتاجاً لقصب السكر هي منطقة السوس بأقسامه المختلفة⁽¹⁰⁶⁾، فجادت زراعته في السوس الغربي، وهذا ما حدا بالحميري⁽¹⁰⁷⁾ أن يصف جودته بقوله: "وقصب السكر الذي ليس في الأرض مثله طويلاً وعرضاً وحلاوة وكثرة ماء"، هذا إضافة إلى كثرة محاصيل زراعية أخرى كالزيتون، والفواكه بمختلف أنواعها وغيرها من المحاصيل التي كانت تغطي الاستهلاك المحلي ومنها ما يصدر إلى مختلف الأقاليم .

أما التجارة فقد ازدهرت أيضاً بشكل كبير في عهد المرابطين لكون بلاد المغرب مطلة على ساحلين هما ساحل البحر المتوسط وساحل المحيط الأطلسي، فكان لموقعها على الساحل أثره في نشأة عدة موانئ سهلت الاتصال بالعالم الخارجي، ومكنت تلك الموانئ من تأدية دورها في الحركة التجارية في ظل الأسطول المرابطي الذي لم يكن دوره يقتصر على الجهاد وحماية الثغور من غارات القراصنة فحسب، بل تعداها واستفيد به في الحركة التجارية كما انتعشت الحركة التجارية بميناء طنجة لموقعه الجيد على شاطئ المحيط الأطلسي، ومدخل مضيق جبل طارق، فمنه كانت تصدر الفواكه والقمح وسائر الحبوب⁽¹⁰⁸⁾، فكان لميناء طنجة دور في تصريف منتجات وسلع مدينة فاس والمناطق الداخلية القريبة منها⁽¹⁰⁹⁾، والواقع أن المسالك الرئيسية للحركة التجارية في المغرب خلال العهد المرابطي تركزت حول خمسة مراكز تجارية هي: أغمات، تلمسان، وسجلماسة، وادغست، وفاس، إلا أن كثافة الطرق التجارية بين سجلماسة وتلمسان تدل على أنهما كانتا المركزين الرئيسيين في التجارة أبان حكم المرابطين، وكانت سجلماسة أهم مدخل لطرق القوافل التجارية وأكثرها شهرة وأهمية، أما تلمسان فكانت نقطة تفضي إلى إفريقية والمشرق والأندلس وحوض البحر المتوسط ، فدبت الحياة في هذه المدن بفضل ما تمتعت به من مواقع استراتيجية وتجارية⁽¹¹⁰⁾، وبالإضافة إلى تلك الطرق هناك العديد من الطرق الثانوية وهي طرق محلية الغرض منها توزيع البضائع في خط القوافل الرئيسي إلى المناطق الأخرى، ومن ثم يمكن القول إنها تكملها على صعيد التجارة الداخلية وعلى سبيل المثال هناك طريق يربط بين فاس وسجلماسة عبر صفروى الذي تقدر مساحته بثلاثة عشر مرحلة⁽¹¹¹⁾ ، هذا إلى جانب الطريقين اللذين يربطان بين سجلماسة وكل من درعة وأغمات اللتين تعدان مدخلاً لقوافل التجارة إلى بلاد السودان ومما لاشك فيه أن ارتباط المدن الداخلية مثل مراكش وفاس وتلمسان بالمدن الساحلية، كان له أثره البالغ في توزيع منتجاتها فهناك طريق يربط بين مراكش وسلا لتصدير منتجات المدينة وتقدير مسافته بتسع مراحل⁽¹¹²⁾، وقد شهدت الأسواق التجارية في المغرب الإسلامي في فترة المرابطين حركة تجارية،

ونشاطاً في البيع والشراء، وهذا راجع لعدة عوامل ساعدتها على هذا الازدهار، فأول هذه العوامل يرجع إلى الاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد إذ أصبحت، السلطة السياسية في يد أمراء المرابطين، وحرص الأمراء على استتباب الأمن وإشاعة الهدوء وهذا ما سهل الاتصال التجاري بين المدن المختلفة .

أما أسواق المغرب في العهد المرابطي فقد عرف المغرب ثلاث أنواع من الأسواق النوع الأول: هي الأسواق التي تصاحب الجيوش في غزواتها، وفي هذه الحالة يقيم التجار أسواقهم قرب القواعد العسكرية (113)، أما النوع الثاني: من الأسواق هي الأسواق الأسبوعية، وهي منتشرة في أنحاء مختلفة من المغرب، ويبدو أن البعض منها كان يغص بالتجار المتجولين، أما النوع الثالث: من الأسواق فهي أسواق المدن، وتنظيمها لا يختلف عن تنظيم أسواق المدن الإسلامية عامة، بحيث يختص كل جانب من السوق بنوع معين من السلع، ويبدو أن حركة السلع داخل المغرب والأندلس وخارجهما دعت إلى اتخاذ فنادق لكل سلعة يتعامل فيها المختصون مثل فندق الزيت و فندق السكر.... الخ (114)، وانفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق كسوق الثياب، وسوق الفاكه، وغيرها من الأسواق التي تضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة (115)، وقد أولى المرابطون عناية خاصة بمدينة مراكش باعتبارها عاصمة الدولة، حيث أصبحت مركزاً من مراكز التجارة الداخلية والخارجية ، فتنوعت أسواقها التي كانت تغمرها الحاصلات الزراعية المختلفة، كما كانت هناك سوق للمنتجات الصناعية التي اشتهرت بها مراكش وأهمها صناعة الصابون، والمنسوجات والنحاس وعنها يقول الإدريسي (116): وكانت الصناعات المنتشرة في مدينة مراكش مختلفة ومتنوعة، ولكل صناعة سوق يشتهر بها مثل سوق الدخان، والصابون، والصفير، والمغازل، وإلى جانب ذلك هناك سوق آخر لبيع الأطعمة المطهية، والحلوى ، ويسمى هذا السوق باسم سوق الدخان، كما كانت للمدينة أسواق أخرى اختصت بتجارة دباغة الجلود وتصنيعها، وبيع المنتجات الجلدية، حتى أن أحد أبواب مراكش أطلق عليه اسم باب الدباغين (117) .

الخاتمة

من خلال دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدولة المغرب الإسلامي خلال الحكم المرابطي لها اتضح ان البلاد كانت تشهد تخلف وانحلال أخلاقي نتيجة الموروث القديم وعدم فهمهم لتعاليم الدين الإسلامي وانعزالهم في عمق الصحراء، بل انهم كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة وكان الجهل والتخلف والبداوة تخيم على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فكانوا يعيشون في عمق الصحراء بعيد عن الحواضر والمدن، فكانت حياتهم تتسم بالتخلف في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية وكذلك في الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، حتى تمكن المرابطون من تأسيس دولة قوية

متزامنة الأطراف، فعمل الأمراء المرابطين على الاهتمام بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية وتطوير الجانب العلمي وانشاء المكتبات والمدارس، وكذلك تنظيم الجانب الإداري والوظائف العامة في الدولة وتشجيع العلماء والادباء والشعراء وغيرهم لرشد التطور الاجتماعي في البلاد، وكذلك الاهتمام بالجانب الاقتصادي فعمل الأمراء المرابطين على الاهتمام بتوزيع الأراضي الزراعية من أجل استصلاحها وحياتها حتى أصبحت المنتجات الزراعية تكفي لسد الحاجة المحلية ويصدر أيضاً منها الى مختلف مدن العالم آنذاك، كذلك الاهتمام بتطوير مختلف الصناعات والاهتمام باستغلال المعادن المختلفة التي تزخر بها بلاد المغرب وتحويلها الى صناعات تدر أرباحاً طائلة وتعمل على تطوير الصناعة في البلاد في مختلف المجالات، إضافة الى الاهتمام بالطرق التجارية وتوسيعها واستغلالها للأغراض التجارية، كذلك استغلال موقع المغرب المطل على أهم الموانئ في العالم فقاموا ببناء السفن المختلفة وانشاء الموانئ لرسو هذه السفن وأصبحت الموانئ في العهد المرابطي تلعب دوراً كبيراً في الحركة التجارية، وهذا يدل على الدور الكبير الذي لعبه المرابطون في تطوير مختلف جوانب الحياة في بلاد المغرب ولهم الفضل في انتشار المجتمع المغربي من التخلف والعزلة الى حياة التمدن والتحضر وعيش الرخاء والدعة والازدهار .

الهوامش:

- (1) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 99 .
- (2) المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، ص 170 .
- (3) وفيات الاعيان وأبناء الزمان، ج 7، ص 129 .
- (4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 67 .
- (5) حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص 304 .
- (6) ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 123 .
- (7) المصدر نفسه، ص 124 .
- (8) الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج 2، ص 7 .
- (9) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، ص 165 .
- (10) المصدر نفسه، ص 166 .
- (11) الانيس المطرب، ص 124 .
- (12) الكامل في التاريخ، ص 75 .
- (13) مؤلف اندلسي، الحلل الموشية في ذكر اخبار المراكشية، ص 23 .
- (14) الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج 2، ص 8 .
- (15) آل عمران، الآية 200 .
- (16) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج 6، ص 199 .
- (17) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 243 .

- (18) حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص 143 .
- (19) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 125 .
- (20) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 243 .
- (21) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 129 .
- (22) ابن أبي زرع، البيان المغرب، ج 4، ص 13 .
- (23) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص 114 .
- (24) حسن، حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، ص 112 .
- (25) ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، ص 138 .
- (26) العبر، ج 6، ص 152 .
- (27) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 110 . .
- (28) عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، ص 65 .
- (29) احياء علوم الدين، دار الفكر ، بيروت، 1980، ج 9، ص 201 .
- (30) ابن خلدون، العبر، ج 2، ص 409 .
- (31) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص 78 .
- (32) ابن الحاج، نوازل ابن الحاج، ص 66 .
- (33) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ص 33 .
- (34) زهون بنت القليعي: (1155هـ/550م) وهي زهون بنت محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، من أهل غرناطة كانت أديبة شاعرة سريعة الجواب صاحبة فكاهة ودعابة معروفة منها أخذت بلغني عن أبي بكر المخزومي الأعمى . ينظر: ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة، ج 4، ص 258م .
- (35) المقرئ، نفع الطيب، ص 295 .
- (36) زينب النفزاوية: وهي زينب بنت إسحاق الهواري النفزاوية ولدت سنة (1039م) وهي من أشهر النساء في العصر المرابطي وهي أمازيغية الأصل، تزوجها يوشسف بن تاشفين وكانت إلى جانب جمالها من أعقل نساء زمانها، وأبعدهن نظراً، وكان مذ تزوجها يرجع إليها في عظام الأمور، ويعتمد على نصحتها، ودكائها، وحسن سياستها، ولعبت دوراً كبيراً في تثبيت ملك زوجها الى جانب تثبيت الدولة المرابطية توفيت سنة (1072هـ/464م). ينظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ج 2، ص 312 .
- (37) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 18 .
- (38) محمود، حسن، قيام دولة المرابطين، ص 52 .
- (39) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 18 .
- (40) ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ص 106 .
- (41) سير بن أبي بكر بن تاشفين أحد رؤساء اللمتوين وهو ابن اخ الأمير يوسف بن تاشفين وهو الذي حاصر إشبيلية حتى استولى عليها وقبض على المعتمد بن عباد وتقلد إمارتها بعده دهرًا ثم تولى محاصرة بطليوس إلى أن دخلت عنوة يوم السبت لثلاث بقين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة وقيل يوم السبت السابع من صفر وقيل في شهر ربيع الأول منها وقبض على المتوكل فقيده وأهين بالضرب في استخراج ما عنده ثم أزعج عنها وقتل هو وابناه الفضل والعباس على مقربة منها ذبحا وكان ذلك مما نعي على ابن تاشفين وقيل إنه رغب في تقديم ولديه هذين بين يديه ليحتسبهما، توفي سنة 1114هـ/507م . ينظر: ابن الابار، الحلة السيرة، ج 2، ص 102 .
- (42) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 18 .
- (43) النويري، نهاية الارب، ج 22، ص 80 .
- (44) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص 177 .

- (45) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ج3، ص233 .
- (46) ابن الابار، الحلة السيرة، ج2، ص205 .
- (47) ابن القطان، نظم الجمان، ص8 .
- (48) النويري، نهاية الارب في معرفة فنون الادب، ج22، ص84 .
- (49) ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ص106 .
- (50) شلي، احمد، التاريخ الإسلامي، ج4، ص183 .
- (51) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب، ج1، ص22 .
- (52) الونشريسي، المصدر نفسه، ج8، ص278 .
- (53) ابن القطان، نظم الجمان، ص93 .
- (54) حسن، حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس، ص424 .
- (55) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص576 .
- (56) ابن الابار، التكملة، ج1، ص383 .
- (57) ابن عياض اليحصبي: هو محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن محمد بن موسى من أهل سبتة وأصله من بسطة ومنها انتقل أجداده قديماً يكنى أبا عبد الله سمع من أبيه القاضي أبي الفضل وابن العري وأجاز له وغيرها وأخذ مصنف النسائي قراءة عن أبي بكر يحيى بن محمد بن رزق ودخل الأندلس وولي قضاء دانية وكان حميد السيرة نزيها متواضعا له مشاركة في الآداب والأخبار وولي أيضا قضاء غرناطة وتوفي بها وقيل بسبتة سنة 575. ينظر: ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج2، ص159 .
- (58) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص49 .
- (59) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195 .
- (60) ابن الابار، اعتاب الكتاب، ص234 .
- (61) تدبير المتوحد، ص77 .
- (62) ابن خلدون، العبر، ج3، ص917 .
- (63) ابن عذاري، البيان المغرب، ص74 .
- (64) ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ج2، ص94 .
- (65) حسن، حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، الإسكندرية، 1980م ص260 .
- (66) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، ص163 .
- (67) المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص448 .
- (68) المراكشي/ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص449 .
- (69) كتاب المغرب، ص163 .
- (70) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص250 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص461 .
- (71) البيان المغرب، ج4، ص10 .
- (72) حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس، ص264 .
- (73) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص250 .
- (74) الحميري، الروض المعطار، ص461 .
- (75) الاطلس، هو خنجر معقوف يستخدم عند الاصطدام المباشر، وهو سلاح لم يعرفه الاسبان، لان الملك الفونسو السادس عندما طعنه احد عبيد يوسف بن تاشفين في فخذه ضنه منجلأ وليس خنجر . ينظر: مجهول، الحلل الموشية، ص61 .

- (76) مجهول، الحلل الموشية، ص 132 .
- (77) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص 446-447 .
- (78) القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 55 .
- (79) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص 181 .
- (80) الجزنائي، جنة زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 73 .
- (81) نصر الله، سعدون، دولة المرابطين في المغرب والاندلس، ص 15 .
- (82) طه، جمال، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 210 .
- (83) نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والاندلس، ص 16 .
- (84) حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس، ص 263 .
- (85) جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 212 .
- (86) العبر، ص 532 .
- (87) جمال طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 212 .
- (88) أبو مصطفى، تاريخ الاندلس الاقتصادي في دولتي المرابطين والموحدين، ص 343 .
- (89) الجزنائي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 55 .
- (90) الاكسية: وهي عبارة عن معطف يستخدمه الرجال والنساء لللبسه، ينظر: دوزي، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، ص 309 .
- (91) الغفارات: هي خرقه توضع على الرأس لتقي الخمار من الاوساخ . ينظر: دوزي، المعجم المفضل، ص 255 .
- (92) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 192 .
- (93) مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص 25 .
- (94) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 249 .
- (95) الادريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص 81 .
- (96) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 245 .
- (97) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 245 .
- (98) المعجب، ص 243 .
- (99) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 23 .
- (100) مجهول، الحلل الموشية، ص 82 .
- (101) عبد العزيز، الجذور الاندلسية في الثقافة المغربية، ص 173 .
- (102) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص 209 .
- (103) الادريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص 170 .
- (104) المصدر نفسه، ص 62 .
- (105) المصدر نفسه، ص 73 .
- (106) المصدر نفسه، ص 178 .
- (107) الروض المعطار، ص 330 .
- (108) الادريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص 165 .
- (109) البكري، كتاب المغرب، ص 110 .
- (110) الحميري، الروض المعطار، ص 337 .
- (111) البكري، المصدر السابق، ص 146 .

- (112) الحميري، الروض المعطار، ص 319 .
(113) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 133 .
(114) البكري، كتاب المغرب، ص 153 .
(115) ابن القطان، نظم الجمان، ص 268 .
(116) صفة المغرب، ص 70 .
(117) ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج 1، ص 12 .

قائمة المصادر والمراجع :-

- 1- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨هـ/1260م) :
 - إعتاب الكتاب، تح: الدكتور صالح الأشتري، ط: الأولى، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١ م .
 - الحلة السراء، تح: الدكتور حسين مؤنس، ط2، دار المعارف ، القاهرة، 1985م.
 - التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٩٩٥ م .
- 2- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري(ت ٦٣٠هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م .
- 3- الأدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني الطالبي، المعروف بالشريف الأدريسي (ت ٥٦٠هـ)، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، مطبعة بريل، ليدن، د. ت .
- 4- ابن باجة، محمد بن يحيى بن باجه، وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي (ت ٥٣٣هـ/1139م)، تدبير المتوحد، دار سناس للنشر، تونس، 1994 م .
- 5- البكري، أبو عبد الله بن عزيز البكري(ت: 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1966 م .
- 6- الجزنائي، علي، جنة زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967 م .
- 7- حسن، حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، ط: الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 م .

- 8- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط: الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠ م .
- 9- ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصللي، أبو القاسم (ت بعد ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨ م .
- 10- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر (ت: 808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م .
- 11- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت: 681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د . احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م .
- 12- دوزي، رينهت، المعجم المفضل بأسماء الملابس عند العرب، نر: اكرم فاضل، بغداد، 1971م .
- 13- ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المطبعة الشرقية، ليدن، 1969م .
- 14- شلبي، احمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط: الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م .
- 15- شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت ١٣١٥هـ/1898م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت .
- 16- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد (ت: 594هـ/1198م)، المن بالامامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م .
- 17- طه، جمال احمد، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، 2001م .
- 18- عبد العزيز، محمد، الجذور الاندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت .
- 19- عبد الله، عبد العزيز، مظاهر الحضارة المغربية، مطبعة الدار البيضاء، المغرب، 1962م .
- 20- ابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد بن محمد بن عذاري (ت: 695هـ/1295م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: كولون بروفنسال، مكتبة صادر، بيروت، د.ت .

- 21- عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1427هـ/2007م.
- 22- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ/1111م)، احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- 23- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري (ت: 799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- 24- ابن القاضي، احمد بن محمد (ت: 1025هـ/1617م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م.
- 25- ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي (ت: 628هـ/1231م) نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تح: محمود علي، دار الغرب الإسلامي، 1990 م.
- 26- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت: 821هـ/1418م).
- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الإبياري، ط: الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٠ م.
- 27- لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأندلسي (ت: 776هـ/1375م).
- اعمال الاعلام، تح: احمد مختار العبادي، مكتبة الدار البيضاء، المغرب، 1964م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- 28- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ م.
- 29- مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
- 30- محمود، حسن احمد، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

- 31- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي ، محيي الدين (ت: ٦٤٧هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط: الأولى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦ م .
- 32- مصطفى، كمال السيد، تاريخ الاندلس الاقتصادي في دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د. ت .
- 33- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط: 3، دار صادر- بيروت ، 1997 م .
- 34- مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط3، مكتبة الاسرة والاعمال الفكرية، القاهرة، 1425هـ/2004م.
- 35- نصر الله، سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1985 م .
- 36- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، (ت: 733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002 م .
- 37- الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحيى(ت: 514هـ/1121م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقيا والاندلس والمغرب، نشر وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981 م .
- 38- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله:(ت626هـ-1228م)، معجم البلدان، ط:2، دار صادر، بيروت، 1995 م .